هوامش

مع انطلاق الموسم الدراسي الجديد، نشرت مجلة Nature Human Behaviour دراسة تشير إلى أن المهارات غير الإدراكية، مثل الدافع والتنظيم الذاتي، مهمة بقدر الذكاء، في تحديد النجاح الأكاديمي

غالباً ما تركّز المدارس على الجانب المعرفي فقط (Getty)

التفوّق الأكاديمي

الذكاء والمعرفة وحدهما لا يكفيان

محمد الحداد

في الوقت الذي يعتقد فيه أكثرية الناس حول العالم أن الذكاء هو الطريق نحو التفوق والنجاح الأكاديمي، يعتقد باحثون أن هناك مهارات أخرى لا ترتبط بالمعرفة أو الإدراك، لها تأثير كبير على مدى تحقيقنا أهداف التفوق الدراسي. في دراسة جديدة نشرت يوم 26 أغسطس/ آب في مجلة Nature Human Behaviour قال باحثون إن المهارات غير الإدراكية، مثل الدافع والتنظيم الذاتي، مهمة بقدر الذكاء، في تحديد النجاح الأكاديمي.

وفقاً للدراسة، تصبح هذه المهارات مؤثرة أكثر طيلة فترة تعليم الطفل، إذ تلعب العوامل الوراثية دوراً مهماً في ذلك. ويشير البحث، إلى أن تعزيز المهارات غير المعرفية جنباً إلى جنب مع القدرات الإدراكية يمكن أن يحسن النتائج التعليمية.

تقول المؤلفة المشاركة في الدراسة مارغريتا مالاشيني – المحاضرة في علم النفس في جامعة كوين ماري في لندن – إن نتائج الدراسة تتحدى الافتراض السائد منذ فترة طويلة بأن الذكاء هو المحرك الأساسي للإنجاز الأكاديمي، «لقد وجدنا أدلة دامغة على أن المهارات غير المعرفية - مثل العزيمة والمثابرة والاهتمام الأكاديمي وتقدير قيمة التعلم - ليست فقط من العوامل المهمة للنجاح ولكن تأثيرها يزداد قوة بمرور الوقت».

استخدمت الدراسة، التي تتبعت أكثر من عشرة آلاف طفل تتراوح أعمارهم بين سبعة و16 عاماً في إنكلترا وويلز، مزيجاً من دراسات التوائم والتحليلات القائمة على الحمض النووي لفحص التفاعل المعقد بين الجينات والبيئة والأداء الأكاديمي. وكشفت النتائج بوضوح وجود دور أكبر تقوم به الجينات في تشكيل المهارات غير المعرفية وتأثيرها على التحصيل الأكاديمي. ومن خلال تحليل الحمض النووي، قام الباحثون ببناء درجة متعددة الجينات للمهارات غير المعرفية، وهي في الأساس صورة جينية لاستعداد الطفل لهذه المهارات.

توضح مالاشيني في تصريح لـ«العربي الجديد»: «لقد اكتشفنا أن التأثيرات الجينية المرتبطة بالمهارات غير المعرفية أصبحت أكثر قدرة على التنبؤ بالتحصيل الأكاديمي على مدار سنوات الدراسة، بل إن تأثيرها يتضاعف تقريباً بين سبعة و16 عاماً. وبحلول نهاية التعليم الإلزامي، أصبحت الاستعدادات الجينية للمهارات غير المعرفية بنفس أهمية تلك المرتبطة بالقدرات المعرفية في التنبؤ بالنجاح الأكاديمي».

ووفقاً للباحثة، فإن هذا الاكتشاف يتحدى النظرة التقليدية للإنجاز التعليمي باعتباره يتحدد إلى حد كبير بالذكاء. وبدلاً من ذلك، تشير الدراسة إلى أن التركيبة العاطفية والسلوكية للطفل، التي تتأثر بالجينات والبيئة، تلعب دوراً حاسماً في رحلته التعليمية. وبينما تسهم الجينات بوضوح في تكوين المهارات غير المعرفية، تؤكد الدراسة أيضاً أهمية البيئة. إذ تمكن الفريق البحثي، من خلال مقارنة الأشقاء، من عزل تأثير البيئة الأسرية المشتركة عن العوامل الوراثية. وفي حين تلعب العلاقات وظروف الحياة على مستوى الأسرة دوراً مهماً، فإن التأثير المتزايد للجينات غير المعرفية على الإنجاز الأكاديمي ظل واضحاً حتى داخل الأسر، وفقاً للدراسة. يشير هذا إلى أن الأطفال قد يشكلون بنشاط تجارب التعلم الخاصة بهم بناء على شخصيتهم وميولهم وقدراتهم، مما يخلق حلقة تغذية راجعة تعزز نقاط قوتهم.

تشير المؤلفة المشاركة في الدراسة إلى أن نتائج هذه الدراسة لها آثار عميقة على التعليم؛ فمن خلال الاعتراف بالدور الحاسم للمهارات غير المعرفية، يمكن للمدارس تطوير تدخلات مستهدفة لدعم التطور العاطفي والاجتماعي للطلاب جنباً إلى جنب مع التعلم الأكاديمي.

«لقد ركز نظامنا التعليمي تقليدياً على التطور المعرفي. الآن، حان الوقت لإعادة التوازن إلى هذا التركيز وإعطاء أهمية متساوية لرعاية المهارات غير المعرفية. من خلال القيام بذلك، يمكننا خلق بيئة تعليمية أكثر شمولاً وفعالية لجميع الطلاب» تقول مالاشيني. وتوضح أن الدراسة تسلط الضوء أيضاً على الحاجة إلى مزيد من البحث في التفاعل المعقد بين الجينات والبيئة والتعليم. فمن خلال فهم هذه العوامل، يمكن للمعلمين وصناع السياسات تطوير استراتيجيات أكثر فعالية لدعم التنمية الشاملة للطلاب وتحقيق نتائج تعليمية أفضل.

باختصار

التأثيرات الجينية المرتبطة بالمهارات غير المعرفية أصبحت أكثر قدرة على التنبؤ بالتحصيل الأكاديمي على مدار سنوات الدراسة

■■■

من خلال الاعتراف بالدور الحاسم للمهارات غير المعرفية، يمكن للمدارس تطوير تدخلات مستهدفة لدعم التطور العاطفي والاجتماعي للطلاب جنباً إلى جنب مع التعلم الأكاديمي

■■■

استخدمت الدراسة، مزيجاً من دراسات التوائم والتحليلات القائمة على الحمض النووي لفحص التفاعل المعقد بين الجينات والبيئة والأداء الأكاديمي

وأخيراً

غصّة الإعجاب

آدم فتحي

أدارت فعاليّاتُ افتتاح أولمبياد باريس 2024 أعناق مئات الملايين في العالم، بما فيها أعناقنا. وها هي الألعاب البارالمبيّة تفعل الشيء نفسه. لكنّنا لم نعشها ولم نحلّق معها كما فعل غيرنا. ظلّت عيوننا مشدودة إلى غزّة، وإلى الضفّة الغربية، وإلى جنوب لبنان، وإلى اليمن، وإلى مدننا وقرانا المنكوبة، وإلى كلّ المناطق المثخنة حروباً ومظالم. ونحن ننظر إلى هنا وهناك، وقد حاصرتنا الصور المتناقضة من وراء رمالها المتحرّكة، فإذا نحن لا نملك حريّة الإعجاب والدهشة التي كانت تصحبُنا ونحن نلعب في مسارح الطفولة. الإعجاب الذي أرمي إليه هو ذاك المجانيّ المنساب مرتاحُ الضمير. المعتمِدُ في ذاتيّتِهِ على أسبابٍ فنيّة خالصة. ناجمة عن النصّ في الأدب. نابعةً من الفعل في الميدان. بعيداً عن سيرةِ الكاتب أو الفاعل وانتمائهما. هل يمكن فعلاً تحقُّقُ هذا النوع من الإعجاب؟ ثمّة طعمٌ آثم لكلّ متعة في مكانٍ مرفّهٍ نسبيّاً بينما العالم يدمّره الفقر والظلم والجوع. ثمّة غصّةٌ في حلق كلّ إعجاب بمنجزٍ بشريّ في مكانٍ آمنٍ نسبيّاً، بينما بشرٌ تبيدهم الحرب في مكان آخر. إخْزاءٌ لطعم الفرح كأنّك تحيي عرساً جنب حدادٍ. لا فرق إن كان الحداد في أوكرانيا أو السودان، فماذا إذا كان في غزّة، مع وابل الصور التي تتهاطل وتوثّق في كلّ لحظة سقوط الحضارة المدوّي وموت إنسانيّة الإنسان.

كانت أولمبياد طوكيو 2020 بسبب الكوفيد أولمبياد الحصر والأماكن المغلقة، فجاءت أولمبياد باريس على العكس، أولمبياد الفضاءات الخارجيّة وحمّامات الجماهير. هكذا تابعنا مَشاهدَ توماس جولي وهو يحاول إقناعنا بأنّ «فرنسا الأنوار» لم تستسلم للوحش! وبأنّها جائعة إلى الآخر، وأنّها تسعى إلى الائتلاف بالاختلاف، وأنّها وقفت على حافّة هاوية التناحر والأحقاد. لذلك سعت، في هذه الأولمبياد، إلى تبادل رسائل المحبّة والتسامح. بدت فرنسا، ومن خلالها العالم الغربيّ من خلال تلك المشاهد، أمماً تتداعى إلى السلام. وعبثاً، بحثنا عن رسالة تمنح آلاف الأطفال الغزّيّين فرصة، ولو أولمبيّة، كي يتنفّسوا قليلاً ويتذكّروا الضحك واللعب ويستمتعوا بالفرجة. لذلك لم يكن من السهل أن نصدّق سردية الألعاب، وهي توزّع رسائل القيم الإنسانيّة النبيلة. كيف نستطيع أن تصدّق تلك السردية، وأن نعجبَ بكلّ تلك الرسائل، بينما الواقع السياسي والميداني يكذّبها في كلّ لحظة؟ فازت فرنسا سنة 2000 بدورة كأس أوروبا للأمم. بدا ذلك الفوز مستحقّاً، بالنظر إلى أنّ إيطاليا لم تسع، في أغلب مقابلاتها، إلى تحقيق الانتصار بقدر ما عوّلت على انتظار هزيمة المنافس. آلت النتيجة إلى فوز الفعل على نقيض الفعل. هكذا يحبّ عُشّاق «الفوتبول» هذه اللعبة إذا كانوا هكذا يحبّون الحياة. كتب رشاد أبو شاور يومها أنّه رغب في أن يفوز المنتخب الإيطالي بتلك المباراة، لأنّ عواطفه مع المنتخب الإيطالي «توثّقت عندما كنّا نخوض معركة بيروت 1982 ونتصدّى للعدوان الصهيونيّ على لبنان العريق... وبكلّ فروسيّةٍ، أهدى الفريقُ الإيطاليّ كأسَ البطولة لفلسطين وشعبها مدّة يوم، وقد وضع الكأس

> ثمّة أسئلة تُطرح من دون أن تنتظر إجابة، مثل غصّةٍ من القهر، غصّةٍ في حلق كلّ لحظةٍ من إعجاب

في ممثّليّة فلسطين بروما...». لم يستطع الكاتب العربيّ أن يفصل بين تاريخه شغوفاً بالفنّ وتاريخه حيواناً سياسيّاً. وأغلب الظنّ أنّ المسألة أعمق من «الغرائز السياسيّة». إنّها مسألة انحياز ضروريّ إلى «إنسانيّة الإنسان». ذاك ما جعلني أنظر إلى أولمبياد باريس وألعابها البارالمبيّة بطريقة جانبيّة تمتحن المشهد بزواياه الخفيّة. لقد مرّت غزّة من هناك. كيف تَقبل باريسُ الأنوار أن يرفرف العلمُ الصهيونيّ في سمائها بعد غزّة؟

ثمّة أسئلة تُطرح من دون أن تنتظر إجابة، مثل غصّةٍ من القهر، غصّةٍ في حلق كلّ لحظةٍ من إعجاب. كنت أتشوّف إلى هناك وأنا أترنّح تحت وابل الصور من الأولمبياد، محاولاً أن أقنع نفسي بأنّي إنسانٌ يضحك حتى عند رأس الميت من دون أن ينسى، ومن دون أن يهرب. هل يخفّف هذا التمشّي من أصوات الأنين المتصاعدة من ساحات الحرب؟ هل يمسح عن عينيّ ما تراكم فيهما من دخان الحرائق؟ هل يخفّف من طعم الإثم الذي يغلب على متعتي بالفُرجة في مثل هذه الأيّام المترعة بالتراجيديا، أم أظلّ على هذا النوع المخصوص من الإعجاب، ما إن تحرّكه غريزة الإنسان الطفوليّة، حتّى تنهال عليه أنقاض القيم وتطوّح به عواصف الظلم والقهر والكيْل بمكياليْن فتغلبه الغصّة؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**